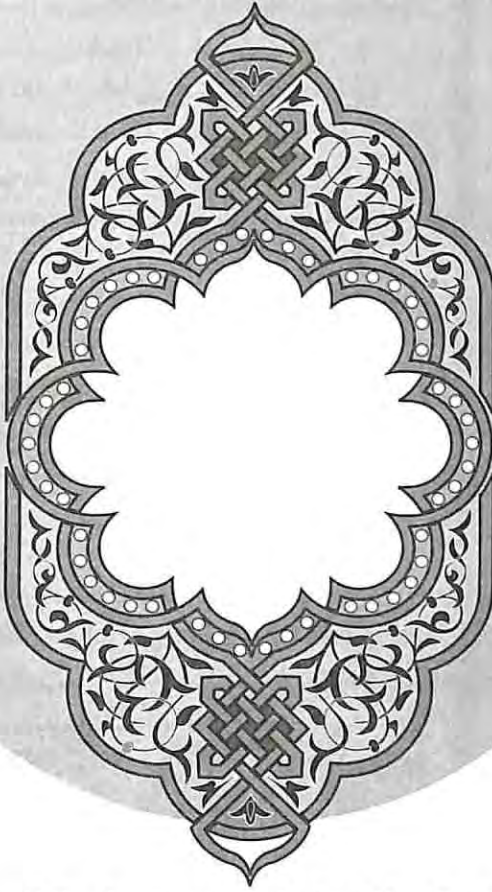


الرّواية المضادة ..

دعوة للإباحية

وطعن ..

في الإسلام!



يبدو أنه لم يعد للشيوعيين العرب السابقين والحداثيين كما يسميهم بعض الناس - غاية أو هدف، غير الطعن في الإسلام، وتشويهه، ومحاربة كل دعوة تنطلق منه أو تعتمد عليه.. فضلاً عن سعيهم الحثيث لإشاعة القيم الغربية الرأسمالية - التي كانوا يحاربونها في عهد السوفييات! - في أرجاء المجتمع العربي المسلم، وعدّ هذه القيم طريق الاستنارة والتقدم!

ولا شك أنهم يجدون من يردّ عليهم حينما يثيرون الشكوك حول الإسلام، أو يبشرون بقيم الغرب، من خلال مقالاتهم أو كتبهم، أو في ندواتهم ومؤتمراتهم، ولكن حين يوظفون الفنون الدرامية لهذا الأمر العدواني، يصعب الردّ والمواجهة، لأن هذه الفنون تمثل نوعاً من الصعوبة، بل قل لا تجد الاهتمام الكافي، والعناصر المدربة من المعنّين بالدفاع عن الإسلام وقيمه، والمسلمين وحقوقهم.



**بقلم الدكتور
حملي محمد القاعود**

الصحفي!

ومعظم الشخوص جاهزة، غير متحوّلة، لا عمق لها، يسيطر عليها جميعاً الهاجس الجنسي أو الشبقي بكل أنواعه، والبطل رجل مشغول بالنساء والغلمان والرجال، وينقل لنا على امتداد معظم الصفحات تحولاته الجنسية مذكان طفلاً حتى غادرناه على صفحات الرواية كهلاً يقوم بواجباته الشبقية كأنه آلة ميكانيكية لا تتعب ولا تكلّ بمجرد الاستدعاء! والبطل الراوي مولع بتقديم الشذوذ بين الرجال، وبين النساء، بل إنه لم يكتف بذلك، وصور لنا بصورة مقززة إتيان المحارم، ليخرج القارئ - أي قارئ - بأنه لا يوجد أحد في المجتمع العربي، فضلاً عن الأوروبي واللاتيني (نسبة إلى أمريكا اللاتينية) إلا وهو داعر أو شاذ أو منحرف!

وكان الكاتب الطائفي المتعصب يدرك هذا سلفاً، فيكتب في المقدمة مهاجماً الذين يرفضون عمله الإيروتيكي أو الشبقي - كما يسميه، وكأنه يتهمهم بالتخلف والقصور.

ولأنني لا أحب أن أتوقف عند هذا الجانب، فسأكتفي بتقديم مسوغاته للدعارة والشذوذ والانحراف، فهو مثلاً يشيد بالدعارة في السودان، ويقول على لسان البطل: الدعارة هنا علنية.

هذه إفريقية التي تتعامل مع الجسد بحرية وصدق، وليس مثل العرب..

خطيرة يروج لها شيوعيو الأيام السابقة، خدام الرأسمالية الغربية في الأيام الراهنة! لن أذكر اسم مؤلفها - كي لا أخدمه بنشر اسمه - ولا اسم روايته فهناك من القراء من اطلع عليها بالتأكد، وغابتي هي التعريف بالظاهرة، والتنبيه إلى خطرها، ولفت نظر الأدباء الإسلاميين إلى أن ينشطوا ويعبروا عن تصور الإسلام فيما تثيره هذه الظاهرة وما تخلفه، وألا يكتفوا بمجرد السخط أو صب اللعنات أو الشكوى على صفحات الصحف والمجلات.

تدور الرواية المذكورة حول تجربة شيوعي سابق، في إطار سيرة ذاتية، تبدأ من الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات، ولا يخضع السرد لتسلسل زمني متصاعد، ولكنه يزاوج ما بين الماضي والحاضر، ويخضع للاستدعاء (استدعاء الماضي والحاضر)، بالإضافة إلى المذكرات القديمة والقريبة، ومحيطها الجغرافي مصر والسودان والعراق ولبنان وبولندا وسويسرة وإثيوبيا، والأماكن في معظمها تمثل بيئة نصرانية، فالبطل الذي هو الراوي أو المؤلف نفسه - فيما يبدو - يعيش في بيت قسيس بروتستنتي، ويتعلم في الكلية الأمريكية بأسبوط (وهي بيئة نصرانية) والأقارب والأصدقاء والزلاء المصريين والأجانب معظمهم من النصارى، والكنيسة حاضرة دائماً في حياتهم.

ولغة الرواية تمزج بين الفصحى والعامية المصرية والسودانية، وتبدو الفصحى ركيكة وضحلة، مليئة بالأخطاء الإملائية، والنحوية التركيبية، ولكن الناشر اعتنى بطبع الرواية، وجعل لها عنواناً بارزاً بالخط الأحمر على غلافها، وأيضاً جعل اسم المؤلف بارزاً (كما النحت)، دليلاً على حفاوته بالرواية وصاحبها الذي يدعي أن له علاقة بالعمل

وفي الفترة الأخيرة قرأنا عن فيلم سينمائي أخرجه شيوعي لبناني (مسلم بالاسم) يتبنى فيه وجهة نظر المارون، ويحمل على المسلمين اللبنانيين الذين كانوا يقتلونهم «على الهوية!»، وبدلاً من أن يدعو الفيلم إلى ضرورة العيش المشترك، والانتماء إلى الوطن اللبناني والعربي، ويحذر من الوقوع في فخ الفتنة، والولاء للمستعمر الغربي، نجده يشعل النار من جديد، ويقلب الحقائق، وينسى من بدأ القتال ضد المنظمات الفلسطينية، وضد المسلمين، وينسى أيضاً من استنجد باليهود والغرب الاستعماري، ومن المفارقات أنه يدعي أن اتفاق الطائف بين الفئات اللبنانية ظلم النصارى (!) وسأوى بينهم وبين المسلمين الذين يمثلون ٧٥٪ من سكان لبنان!

وبالطبع، فإن هذا الفيلم العدواني الانتهازي، يلقي ترحيباً من الشيوعيين في بعض الأقطار العربية، وإشادة به وبمخرجه وبأفكاره العدوانية الانتهازية! وإذا تركنا هذا الفيلم جانبا، فإننا نلاحظ ظاهرة استشرت في المجال الأدبي، وخاصة في «الرواية»، وتتمثل في أن مجموعة من الكتاب الطائفيين العرقيين المتعصبين - وكانوا من قبل أعضاء في التنظيمات الشيوعية - وفي الوقت ذاته تهاجم العرب والإسلام بمنتهى القسوة والفظاظة والفجاجة، وتعلن بلا مخافة عن انتماء طائفي بغض، وولاء صريح للغرب الاستعماري، وتأييد مطلق للحركات الطائفية الانفصالية التي تجري في أرجاء الوطن العربي.

وسوف أتوقف عند إحدى الروايات التي نشرتها «دار رياض الريس» في لندن عام ١٩٩٤، وتقع في ٣٢٥ صفحة من القطع الصغير، لتكون مثلاً معبراً عن ظاهرة

ص ١٢٩. فالقضية عنده هي حرية الجسد، وأن الأفارقة أكثر صدقاً من العرب، وكأنه لا أثر للكنيسة التي يتبعها ويتعصب لها، ولا للشرائع الإلهية، ولا للقيم الاجتماعية، ولا للفطرة البشرية في لجم انحلاله. وفي تسويغه للشذوذ يقول: «الجسد هو الشيء الوحيد الذي يبقى للسجين!» (ص ٩٨)، وحين يواجه بمعارضة كاتب مهم صديق له، يرفض كتابته الجنسية، يحلّ ذلك بأنه - أي الكاتب المهم، ينطلق من موقف أخلاقي سياسي، ويضيف «لكني أعتبر أن من يريد أن يكتب عليه بالضرورة أن يحتفظ بمسافة بين الكتابة والمواقف الأخلاقية والسياسية» (ص ٩٩).

وهذا الكلام الذي يقوله البطل / الراوي، يؤكد على أن الشيوعيين لا خلاق لهم، وأن غايتهم الأساسية تدمير المجتمع ونسفه وتحويله إلى مجموعة حيوانية تخضع للسيد الصليبي وحده، الذي تبشر الرواية بقيمه وتقاليد.

إن الجانب الإباحي الذي تدعو إليه الرواية - على خطورته - يتضاءل أمام تعصب البطل وحملته على الإسلام والمسلمين، وطعنه في الأخلاق الإسلامية صراحة وعلناً، وفي فجاجة غير مسبقة فيما أعلم.

فهو حريص في ثنايا روايته غير المتماسكة فنياً أن يعبر عن تعصبه الطائفي في أكثر من مناسبة، ومع أنه ملحد ومنحل، إلا أنه لا يكف عن الإشارة إلى انتمائيه الطائفي، بل إنه يصف إحدى النساء في الرواية قائلاً: «عيونها قبطية» - ترى لو فعلها مسلم، ماذا سيقال عنه، بل ماذا سيكون مصيره؟

ويصدر الكاتب روايته بآية من الإنجيل المتداول تقول: «اسمي جوقة، لأننا كثيرون»، ويشرحها ويربطها بالمسيح عليه

السلام، ويتحدث بطله في موضع آخر عن بيض النعام المعلق على باب المذبح الداخلي للكنيسة الذي يرمز إلى استمرار الكنيسة عبر عصور الاضطهاد المتعاقبة (ص ٢٧٢) وهنا يقلد الكاتب المتعصب الراحل «لويس عوض» عندما تحدث عن اضطهاد النصارى في مصر، فيشير إلى الجزية وليس الزراق والنزول من على الحمار.. ويزعم أن النصارى هاجروا إلى معابد الأقصر في بعض العصور الإسلامية هرباً من اضطهاد المسلمين!

ويوالي البطل هجومه على الإسلام من خلال ما يسمى بجمهورية الشيخ جابر الإسلامية في إمبابة بالمنيرة الغربية، فينتقد الإسلام الذي لا يسمح بتربية الخنازير ويحرم أكلها (ص ٢٦٢)، كما ينتقد اللحى والحجاب، ويتحدث عن الصراع بين المسلمين والنصارى في هذه المنطقة العشوائية (يقصد جمهورية الشيخ جابر)، ويحلل الصراع بين الحكومة والإسلاميين، ويتوقف عند الكنيسة وموقفها من الطرفين، ويعترف - لأول مرة - بتعصب النصارى وحملهم للسلاح (متعاطفاً معهم بالطبع) ودعواهم بامتلاك نصف مصر الجنوبي! والغريب أن المؤلف لم يقل لنا لماذا انتقل البطل - الذي يلبس قناعه - من أفخم أحياء القاهرة (الزمالك) إلى إمبابة (المنطقة العشوائية)؟ ذكر أن السبب شخصي.. وهذا سبب غير مقنع لأن البطل الشيوعي السابق، لم يكن مطارداً، ولا في حالة اقتصادية سيئة، ولا مشكلة لديه. إن السبب الأرجح هو رغبة الكاتب في أن يطعن بطله مفاهيم الإسلام، ويعلن عن أحلام النصارى في عصر الضعف الحكومي!

ويتخذ البطل من الجماعات الإسلامية متكاً للحديث عن اضطهاد النصارى

وحرق كنائسهم وبيوتهم من جانب المسلمين ويشير إلى أن النصارى يغلقون أبوابهم من الداخل بالأقفال والترايبس خوفاً من هجوم المسلمين المتوحشين، وهو ما جعل النصارى لا يفتحون الباب لأحد إلا إذا عرفوا أنه منهم (!) كأنهم المسلمون في البوسنة أو كوسوفا!

وتؤلم البطل / الراوي مقولة للرئيس السادات فحواها أنه رئيس مسلم لدولة مسلمة، فيحمل عليه حملة ضارية ويتهمه أنه حارب الثقافة (!) وفتح الباب أمام المستثمرين الطفوليين (كذا!)، وتحولت المكتبات في عهده إلى محلات قبيحة لبيع الأدوات الصحية، «فقد كان حي الفجالة حي المكتبات والمقاهي والبارات اللطيفة منذ أيام اليهود والإجريج (!) بقية المكتبات امتلأت رفوفها بالكتب الدراسية وبعضها تخص فيما يسمى الكتب الإسلامية - هكذا أسموها - ...» (ص ١٨٦).

ويتحدث البطل / الراوي عن جارتته الغانية والمقهى المجاور فيعرج على طعن الإسلام من خلال السادات والحركة الإسلامية، يقول:

«هذا هو المقهى الذي كانت ترسلني إليه جارتنا الغانية بالتعبير المهذب لأحضر لها البيرة والبيبيسي. ذلك الوقت الغابر، قبل الهوس الديني حينما كانت البيرة والبوظة (وهو ويسكي العرجية) تقدم في مقاه (كذا!) الفجالة والظاهر قبل أن يعلن السادات أنه رئيس مسلم لدولة إسلامية، ويفتح بذلك القمم الذي خرج منه المارد الذي احتضنه ثم ما لبث أن قتله في حادث المنصة الشهير (ص ١٨٧).

وواضح أن بطل الرواية الطائفية حزين من أجل البيرة والويسكي التي لم تعد تقدم على مقاهي الفجالة والظاهر، وهو منزعج للغاية لأن السادات أعلن أنه رئيس

مسلم لدولة إسلامية، وهو ما لا يريده البطل الطائفي المتعصب، فكلمة مسلم وكلمة إسلام مخيفتان، ولا محل لهما في قاموس البطل الطائفي في الوقت الذي يتغزل فيه بعيني امرأة، ويصفها «بعيون قبطية»! ثم يلوم السادات لأنه فتح القمم للمارد - يقصد الحركة الإسلامية - الذي احتضنه ثم قتله، وهذا البطل الطائفي يردد ما يقوله الماركسيون زورا وبهتانا، فمصر مسلمة منذ أربعة عشر قرنا، والإسلام فيها مارد، لا ينطلق بإرادة أحد، ولكنه ينطلق بإرادة الله، ثم هو لم يلق احتضانا من السادات ولكنه لقي اعتقالا أو حربا ضروسا، بلغت ذروتها قبيل مقتله الذي جاء على يد من أشعلوا هذه الحرب، ونفخوا في نارها، قبل أن يأتي على يد ضابط متدين!

ويتحسر البطل / الطائفي المتعصب، لأن محل (جروبي) الشهير وسط القاهرة، اشتراه الإسلاميون - وهذه معلومة جديدة بالنسبة لي - بأموال جاءوا بها من السعودية (؟) ومنعوا تقديم الخمر فيه! والبطل / الراوي، لا يهاجم المظاهر الإسلامية في مصر وحدها، ولكنه ينتقل إلى السودان، فيهاجم حكومة البشير والجهة الإسلامية التي اعتقلت صديقه (مسيحة)، والأخطر من ذلك تأييده لحركة العميل الصليبي (جارانج) في جنوب السودان، ويراها حركة استقلال لتحرر من العرب النخاسين، وتترك لكلامه الغريب، المعبر عن حقد دفين يقدم لنا تصوّره عن السودان والعرب والإسلام، يقول عن حركة جارانج: إنها محاولة مسلحة للمقاومة وعدم فرض دين وهوية الآخر عليهم! إنها القبائل التي تحاول بالقوة المسلحة المحافظة على حقها الموروث والمنطقي في اختيار نظام حياتها

الاجتماعي والسياسي والديني، بعد أن كان النخاسون العرب والأوروبيون يخطفونهم ليستبدوهم في قصور الخلفاء من دمشق إلى بغداد إلى الباب العالي ويصدرونهم إلى مزارع القطن في الأرض الجديدة في أمريكا الشمالية والمستعمرات الفرنسية في شمال إفريقية والمستعمرات الهولندية والإسبانية في الكاريبي.

ومهما حاول العرب والأوروبيون التملص من هذه القباحة فلن يكون بإمكانهم دحض الحقائق والوثائق والأقنية التي كانوا يسجنون فيها الأفارقة على سواحل الأطلسي الإفريقية تمهيدا لشحنهم بالسفن إلى العالم القديم والعالم الجديد. إنهم الآن لا يختفون في الغابات الاستوائية من نخاسيهم الجدد الذين يتمسحون بوحدة الإقليم ووحدة التراب لكي يحكموهم من جديد بقوانين واجتهادات مبتسرة بأن الدين عند الله هو الإسلام وأن التكفير والمحركة تنتظر من يعترض حتى لو كانوا من المسلمين. لم يهربوا إلى الغابات ينتظرون أن يضعهم الصيادون في أقفاص الحديد حتى ينالوا هذه المرة ثوابهم في الجنة لكنهم التجؤوا إلى السلاح وإلى حرب العصابات وإلى آلهتهم القديمة وطبول حربهم وذاكرتهم الجمعية حتى لا يكون مصيرهم كالهنود الحمر وسكان أستراليا الأصليين وحضارات أمريكا اللاتينية التي دمرتها الكنيسة الكاثوليكية الجاهلية والتي كانت ترى عند الله أيامها هو المسيحية ملتحة بهذا الغطاء من الكذب الديني لكي تحرث الأرض من الأهالي الأصليين وتزرع بدلا منهم شذاز الأفاق الذين نخر الزهري أجسادهم.. إلخ ص ٢٩٥-٢٩٦.

إن تشجيع البطل لانفصال جنوب السودان ووصف العرب والمسلمين بهذه

الأوصاف المقرزة التي لا وجود لها على أرض الواقع، يؤكد أن شيوعية هذا البطل مجرد قشرة لصليبي حقود متعصب لبروتستانتية ضد الإسلام والكاثوليكية جميعا، بل ضد الوطن الذي يرى في وحدة السودان مسألة مصيرية، من أجل المياه على الأقل! إن بطلنا يعلن في موضع آخر أنه يرتبط بجذور عمياء وعاطفية بمصر ولا يعد الوطن قدس أقداس (ص ٢٥٩).

والمفارقة أن هذا البطل يبدي مشاعر الود تجاه اليهود الذين كانوا يقودون التنظيم الشيوعي الذي انضم إليه في شبابه، ولا يرى غضاضة في وجود يهود مصريين ضمن التنظيمات الماركسية وقيادتها، ويعارض مثل الماركسيين المصريين النظرة العرقية (؟) التي تعادي اليهود، ويؤكد على الفرق بين اليهودية كديانة وهوية وبين الصهيونية كمذهب سياسي يعتمد على التوسع العرقي - الديني (؟) (ص ٢٥١-٢٥٢).

هذا هو البطل / الراوي، الطائفي المتعصب، في بعض ملامح سيرته الجنسية والفكرية، يدعو للإباحية وقيم الغرب ويطعن في الإسلام والمسلمين، من خلال رواية ضعيفة فنيا، متهاكمة البناء، رديئة اللغة، جافة الصياغة.. ولكن القوم يحتقون بها لأنها تصب في خدمة أعداء الأمة والدين جميعا!

ترى هل تستطيع الأقلام الإسلامية الموهوبة أن تنشط لمواجهة مثل هذه التخرصات والأكاذيب بالكتابة الفنية الفعالة والمؤثرة؟

